**الجامعة : المستنصرية**

**الكلية : الاداب**

**القسم : الانثروبولوجيا والاجتماع**

**اسم التدريسي : هدى كريم مطلك**

**المادة : اسس المدخل الى الانثروبولوجيا العامة**

**المحاضرة التاسعة والعشرون**

**م / طرق البحث / ادوات جمع المعلومات : الملاحظ بالمشاركة**

**[ أولا : طرق البحث**(1)

بذل علماء الانثروبولوجيا منذ نشأة علمهم محاولات مستمرة لاحلال المعرفة اليقينية عن الشعوب البدائية مكان الأفكار التي تعتمد على التخمينات و اقوال الرحالة و المستكشفين و جنود الاستعمار . و قد تمكنوا في نهاية القرن التاسع عشر من إمكانية تطبيق المنهج العلمي في الأبحاث الانثروبولوجية عن طريق الدراسة الميدانية التي تتمثل في ملاحظة الواقع الاجتماعي مباشرة بقيام العالم نفسه بجمع المعلومات بطرق معينة ثم يقوم بتحليلها , فيستطيع بذلك ان يتاكد من استخدام المنهج العلمي في جمع المعلومات . وكانت اول دراسة ميدانية هي دراسة بعثة جامعة كمبردج لمنطقة مضايق توريس في المحيط الهادي في عامي 1898 و 1899 م . وتوالت بعدها الدراسات الميدانية . ويعتمد الانثروبولوجيون في تطبيق المنهج العلمي اثناء دراساتهم الميدانية للمجتمعات البدائية و النامية و المتقدمة الريفية و الحضرية و الصناعية على طرق بحث معينة أهمها الآتي(2) .

1. مشاهدة المشاركة (الملاحظة بالمشاركة)

وتتلخص في ان يشارك الباحث في الأنشطة الاجتماعية التي يمارسها أعضاء المجتمع المدروس ومن خلال تلك المشاركة يدرس مجتمعهم و ثقافتهم(3)] .

ان الباحث الانثروبولوجي يلتزم (بمشاهدة الاسهام) Participant observation كمبدأ ميداني يذلل أمامه الكثير من المصاعب التي تعترض سبيله في مهمة جمع المعلومات . ولهذا فهو لا يستغني عن ملاحظة الناس اثناء انهماكهم في الفعاليات السلوكية المختلفة أي عندما يشاهد مجموعة من الناس يمارسون طقسا روحيا معينا فانه لا يؤثر في سلوكهم او يوجههم بشكل من الاشكال بصورة مقصودة على الأقل . كذلك فهو يتجنب التأثير في تصرفات الافراد عندما يجري مقابلاته معهم . الا بقدر ما تحدثه اسئلته الموجهة اليهم من تحفيز لهم فيما يتصل باختيارهم بعض النقاط دون غيرها في اجاباتهم على تلك الأسئلة .

ولهذا الضرورات و الأسباب فقد تزايد توكيد الانثروبولوجيين على طريقة مشاهدة الاسهام و الملاحظة او المشاركة في ميدان البحث باعتبارها تكشف عن خفايا السلوك الإنساني بشكل افضل من الملاحظة السطحية و المطلوب من الباحث الانثروبولوجي الميداني أن يتصرف كما يتصرف اهل المنطقة التي يبحثها لكي يتم قبوله من قبل سكانها . كما يطالب الباحث بضرورة فهم الواقع الذهني و العاطفي لانشطة الجماعات المبحوثة دون الاكتفاء بتدوين المعلومات عن اشكال هذه الأنشطة خالية من مضامينها الرمزية و العقيدية و الأخلاقية .

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1. هذا المبحث متل من , ما مدا ما يحصر بين قوسين كبيرين [ ] :

د. قيس النوري : المصدر السابق , ص 41 – 45 .

(2) د. عاطف وصفي : المصدر السابق ص 164 – 165 .

(3) ـــــــــــــــــــــــــ : الانثروبولوجيا الثقافية , دار النهضة العربية – بيروت , 1971 , ص 284 .

ولعل خير مثل على هذا الأسلوب هو البحث الذي اجري لاحدى مصانع مدينة دندي Dundv حيث اشتغل الباحثون الميدانيون جنبا الى جنب مع عمال المصنع , و مشاركتهم معهم ساعات الاستراحة أيضا لغرض التعمق في سلوكهم و استحصال ادق المعلومات المطلوبة عن واقع المصنع .

ويبدو ان مبدا الملاحظة بالمشاركة قد ظهر في علم الانسان كرد فعل للاسلوب الأسبق الذي اقتصر على الاستبيانات و توجيه الأسئلة المقتضية بدون الاحتكاك العميق بواقع الجماعات المدروسة . ومع كل ما ذكر لابد من الإشارة الى ضرورة استعمال مبدأ المشاهدة الميدانية بشيء منالتحفظ و الاحتراس . فالباحث الميداني يركز اهتمامه على فعاليات محددة يختارها لبحثه و بالتالي قد يتحول تفكيره بسبب هذا التركيز و لو بصورة جزئية عن الهدف الأكبر الذي تهدف اليه دراسته الا وهو فهم الناس او الجماعة الخاضعة للبحث من زوايا حياتها المختلفة .

كذلك تبرز مشكلة أخرى تهدد موضوعية البحث الميداني في بعض الظروف وهي خلفية الباحث الحضارية و الاجتماعية التي قد لا تسمح للباحث بالاسهام الحقيقي ببعض فعاليات الجماعات التي يدرسها خصوصا عندما تتناقض تلك الفعاليات مع بعض المعايير الاجتماعية التي اعتاد عليها منذ صغره في مجتمعه .

يضاف الى ما تقدم ان عامل الجنس و السن يؤثر أيضا في البحوث الميدانية الاثنوغرافية . فالاثنوغرافي الشاب قد لا يتمتع باحترام كبير في المجتمعات التقليدية التي يزورها لغرض الدراسة خصوصا عندما يحصر سكان تلك الجماعات احترامهم في كبار السن , مما يحرم الباحث الشاب الغريب من التأثير الاجتماعي وقد يعرقل مهمته العلمية الميدانية .

اما المشكلة الأخرى المتصلة بجنس الباحث فتظهر بوضوح عندما يذهب الى مجتمع غريب متزمت لا يسمح لفتياته بالاتصال برجل خارجي , وهذا معناه صعوبة حصول الباحث على المعلومات التي يمكن للنساء من توفيرها له باشكالها الدقيقة .

ويوجد تعقيد اخر يتحدى الباحث الميداني و تترتب عليه اخطار قد تهدد إمكانيات بحثه . وهو ما يتصل بحساسية العلاقات التي يكونها مع بعض فئات او مقاطع الجماعات التي يدرسها بصورة اعمق من علاقاته بالفئات و المقاطع الأخرى , و لاشك ان العلاقات غير المتوازنة هذه قد تولد مواقف سلبية من جانب الجماعة التي يمكن ان تفسر ذلك كدليل على تمييز الباحث و محاباته للمقاطع او الفئات التي توطدت علاقاته بها بدرجة اكبر مما بغيرها من فئات الجماعات المبحوثة . ولو حصل ذك فان الباحث لن يوفق في التقرب من كافة الناس في المنطقة التي ينبغي دراستها وهذا يمنعه من التعرف على واقع الجماعة بكل شرائحها . مما يجعل بحثه ناقضا .

و يتفق الانثروبولوجين على ضرورة اجتناب الباحثين كلما من شانه ان يثير حولهم شكوك الجماعات المحلية التي يبحثونها والتي قد تعرقل مهماتهم وان تحقيق الوضع الأمثل الذي يتسم بحسن الصلة و التفاهم المتبادل مع جميع افراد الجماعات يعتمد على مدى الالتزام الباحث بموضوعية البحث و التركيز بدرجة متساوية على كل التقسيمات الاجتماعية و الحضارية التي تتشكل منها الجماعات التي يبحثوها